

الأحد 10-01-2010

863- سجنًا الفصحى، وسفرنا من العامية الجديدة! فمل نحن عرب؟

تعتة الوفد

قلت في المقال السابق أن "العربية الفصحى" هي لغة قادرة مرنة خلاقة عبقرية،.... وأنها لا يمكن أن تخرج إلا من حضارة لها نفس هذه المواصفات،... فأين نحن الآن من هؤلاء الذين ابتدعوها، فلم نحمل أمانتها، ليست أمانة اللغة ألفاظاً، وإنما أمانة دلالاتها حضارة؟

لا أعرف من أين جاء حى للعتى: الفصحى، ثم العامية، ربما جاء حى للفصحى من أبى مدرس اللغة العربية وعاشقها أيضاً، أما حى للعامية فهو من أمى غالباً، وهى أمية لا تقرأ ولا تكتب؟ ربما.

حين كتبت في مقال الأسبوع الماضى أن اللغة العامية المصرية (مثل معظم اللهجات العربية)، هى إحدى تجليات اللغة الفصحى، فرحت، وكافى قد صالحت بين ضرتين. كتبت ديواناً بأكمله باللغة العامية مضطراً، وأنا الذى لم أستطع أن أدير حواراً فى قصصى ورواياتى إلا باللغة الفصحى، ورحت فى مقدمة الديوان أعتذر للفصحى "حى الأول"، بما لا أخجل أن أكرره هنا الآن، قلت:

طب وحبيبتى، راح أقول لها إيه؟

إلى ما عمرها قالت لأه، ولا مش قادرة

ولا فيها شىء يتعايب، حلوة وغنية وبنت أصول

معلشى النوبة، المرادى سماح!

أصل العملية المرادى كان كلها حس، والحس طلعلى بالعامى
بالبلدى الخلو،

والقلم استعجل، ما لحقشى يترجم، أيها همسة، أو لمس، أو
فتفتوة حس

معلشى النوبة،

المرادى سماح، واهى لسه حبيبتى،

حتى لو ضرقتها غازية بتدق صاجات.

ثم هأنذا أصالح بين الضرتين حين أعتبر العامية إحدى تجليات الفصحى، قلت أيضا في المقال السابق إن اللغة العربية تاريخ تليد علينا أن نبدأ منه، لا نكتفى بالفخر به، ولا باجتراره، تاريخ يقول لنا إن في جيناتنا التي ورثناها عن أجدادنا ما يثبت أننا أصحاب حضارة هي التي أفرزت هذا اللسان هكذا.. إلخ

لا يوجد ما يعيننا على الخروج مما آل حالنا إليه الانطلاق من آثار من صنعوا هذه اللغة فلم نتعهدنا، ليس بمعنى الحفاظ عليها وتجميدها حتى سجنها كما يفعل ثقات مجمع اللغة العربية، ساعهم الله، ولا بفصلها عن تجلياتها (العامية) كما يفعل المتشجعون الذين لا يتقنون لا هذه ولا تلك، ويكتفون بتزديد رطان هجين من أنجلو عربي، أو فرانكو عربي، لقد أفرغنا كلا من العربية والعامية من المعنى، ثم نقول عرب وعروبة، يا عم!!!! قلت في ذلك أيضا في ديواني السالف الذكر.

اللفظ مات من ركنته

من لعبة العسكر وطول تخبيته،

ظرف رصاص فاضى مصدئ فُ علبته

لما القلم سنه اتقصف،

عملته تلبسه تمكّن ماسكته.

اللغة الإنجليزية يدخلها كل عام، 450 كلمة، (وهذا هو المرجع لمن لا يصدقني <http://www.sat.psu.edu-tp/fo1/stat100.2/Lecture20/sldool.htm>) هل تعرفون معنى ذلك؟ فليقل لي أساتذتي جهابذة المجمع اللغوى كم لفظا يسمحون بدخوله إلى لغتنا الفصحى كل عام؟ سواء من اللغة العامية الجميلة، أم من اللغات الأخرى؟ هذا الرقم الذى يدخل إلى اللغة الإنجليزية كل عام، يقول إنها لغة حية، مضياف، ترحل بأى لفظ جديد قادر على أن يحتوى معنى جديدا، مع أن لغتنا أكثر مرونة واطوع إبداعا، وأجمل جرسا. إن حبس اللغة العربية في سجن المعاجم، أغلق أبوابها خوفا عليها، هو قتل ليس فقط للغة، وإنما لحركة الوعى الذى يفرزها، وهو يدل على جهودنا من ناحية، وأننا نتعامل مع اللغة كأثر من الآثار، كما يدل على انفصالنا عن منشئها من ناحية أخرى، حتى يبدو أنه لم يعد من حقنا أن ننتمى إلى حضارتهم التى أفرزت هذه اللغة العبقريّة.

إننا لو قدر لنا أن نُبعث عربا من جديد، فسوف ننتقل من هذه اللغة العبقريّة نفسها، وأعتقد أن هذا هو ما ورد في استرداكي حين وصلنى احتمال بعث لغتنا، بعد أن نعت موت الألفاظ فى المقطع السابق، قلت بالعامية أيضا:

اللفظ قام من رقدته،

ربك كريم ينفخ في صورته ومعنته
يرجع يغنى الطير على فروع الشجر ويقول يا رب
وتجمله رد الدعوة من قلبه الرطب
لم أهدأ أبداً، وكان قلبي يتحدان كلما قصفته، أو انقص
منى، أو قصفوه هم خوفاً واستهزاءً، قلت:

كل القلم ما تقصف يطلع له سن جديد
وايش تعمل الكلمة يا با والقدر مواعيد
سرق القلم ما العدم أوراق وملاها
وان كان عاجبني وجب، ولا أتى بعيداً

نحن ندور في حلقة مفرغة، بين سجن الجمود بالحجر على حركية
تخليق اللغة إلا بما تسمح به المعاجم التي هي ليست إلا تسجيلاً
لمرحلة تاريخية مرت بها اللغة، وبين تفرغ الألفاظ من
معانيها الباعثة والفاعلة حتى تصبح أصواتاً تتبادل بلا
جدوى ولا محتوى، قلت في ذلك شعراً بالفصحى هذه المرة.

والكل يدافع عن شيء لا يعرفه

برطان لا يهدأ أبداً

- ما حال الدنيا

= الدفع تأخر

- هل نمت الية

= الأسهم زادت

- كم سعر الذهب اليوم

= المأتم بعد العصر

أختم مقال اليوم بامتحان طريف تمهيدا للمقال القادم
عن روعة اللغة الشبابية، ولغة البيئة:

هناك فعل مضارع دقيق يصف جمال المرأة وصفا لا مثيل له،
وهو فعل **اسْبَكْرَت** أي والله: **اسْبَكْرَت**، **ماذا!!!؟**، **فيه ماذا!!!؟**
إذا وجدت صعوبة في النطق، فلا تنطقه لو سمحت حتى لا
تشوّه!!)، أول ما التقيته كان استشهداً من عباس العقاد،
في نقده الرائع لابن الرومي، (عكس تهافتة في نقد الحسن بن
هاني، أبو نواس)، بحثت عن هذا الفعل استجلى معناه الذي
وصلني بموسيقاه دون حاجة لذلك فوجدت أنه قد ورد أيضاً في
معلقة امرؤ القيس التي يقول فيها:

إلى مثلها يرنو الخليم صباية

إذا ما اسْبَكْرَتَ بين دُرْعٍ ومِجْوَلٍ

أما صاحب بيت الشعر الأول الذي اقتطفه العقاد، فشد
فهو الشنفرى الأزدي، وهو جاهلي أيضاً، قال:

فدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكْرَتْ وَأَكْمَلَتْ

فلو جُنَّ انسانٌ من الحسن جُنَّتِ

الامتحان للقارئ: هل ثمة علاقة بين هذا الفعل الجميل
"اسبكرت" باللغة الشبابية الحاسلية؟

لا تندهش ، نحن نتكلم في اللغة، ولم ندخل بعد في الحضارة
أو الوطن أو القومية

وللحديث بقية!